



الزيادة ومعانيها في أبنية الأفعال في سورة النساء (دراسة صيغة أفعل أنموذجاً)
Increase and Its Meanings in the Verb Patterns of Surah al-Nisā
(Af'ala as a Model)

اسحق رحمانى

جامعة شيراز (إيران)

esrahmani@yahoo.com

باسم كاظم حسون*

جامعة شيراز (إيران)

Kazmb8985@gmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2025/10/28	تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر الزيادة في صيغة «أفعل» في سورة النساء، وبيان كيف تسهم الهمزة الزائدة في توليد المعاني الصرفية المتعددة، من خلال تحليل الأفعال الواردة فيها وفق منهج وصفي تحليلي واستقرائي يجمع بين أقوال علماء الصرف والمفسرين، مع رصد التطابق بين المعنى الصرفي والدلالة السياقية القرآنية. ووصلت الدراسة إلى أن الزيادة في بنية الفعل ليست مجرد توسع لفظي، بل أداة دلالية دقيقة تسهم في بلاغة النص القرآني، وتكشف عن عمق العلاقة بين البنية الصرفية والمعنى في لغة الوحي.
تاريخ القبول: 2025/11/17	
الكلمات المفتاحية: ✓ أبنية الأفعال: ✓ الزيادة: ✓ صيغة أفعل: ✓ سورة النساء:	
Article info	Abstract :
Received 28/10/2025	This study aims to uncover the effect of the augmentation of the "afal" form in Surat An-Nisa' and to demonstrate how the additional hamza contributes to generating multiple morphological meanings. This study analyzes the verbs contained therein using a descriptive, analytical, and inductive approach that combines the views of morphologists and commentators, while also monitoring the congruence between the morphological meaning and the Quranic contextual significance. The study concludes that the augmentation of the verb structure is not merely a verbal expansion, but rather a subtle semantic tool that contributes to the eloquence of the Quranic text and reveals the profound relationship .between morphological structure and meaning in the language of revelation
Accepted 17/11/2025	
Keywords: ✓ verb patterns : ✓ augmentation: ✓ Af'ala form : ✓ Surah al-Nisā	

* المؤلف المرسل

مقدمة

تعدّ سورة النساء من السّور المدنية الطويلة، حيث يبلغ عدد آياتها ستاً وسبعين ومائة آية. تزخر هذه السورة بأحكام الشريعة الإسلامية التي نظّمت حياة المسلمين على المستويين الداخلي والخارجي، مع تركيز واضح على الجانب التشريعي كما هو الحال في السّور المدنية. تتناول السورة موضوعات بالغة الأهمية تتعلق بالمرأة والأسرة والدولة، غير أن معظم أحكامها تدور حول قضايا النساء، ومن هنا اكتسبت اسمها. وقد أولت السورة عناية فائقة بشؤون المرأة، فحافظت على كرامتها وصانت كيانها، ودعت إلى ضرورة منحها حقوقها التي شرعها الله عز وجل، كالمهر والميراث وحسن المعاشرة. كما تناولت السورة الجريمة أحكام الميراث بتفصيل دقيق وعادل، بما يضمن تحقيق المساواة. وتطرقت إلى بيان المحرّمات من النساء بالنسب أو المصاهرة، مؤكدة على الآداب السامية في العلاقات الأسرية. كما نظّمت العلاقات الزوجية، مبرزة أنها ليست مجرد علاقة مادية، بل هي رابطة إنسانية شاملة.

وبيّنت السورة الجريمة حقوق كلّ من الزوجين على الآخر، وأوضحت السبل التي ينبغي للرجل سلوكها لإصلاح الحياة الزوجية عندما يبدأ الشقاق بالظهور بينهما. ثم انتقلت الآيات من معالجة الشؤون الداخلية إلى الاستعداد لمواجهة التحديات الخارجية، حفاظاً على استقرار الأمة وأمنها، فأمرت بأخذ العدة والتأهب لمجابهة الأعداء. كما حذّرت السورة من خطر أهل الكتاب، ولا سيّما اليهود، وبيّنت موقفهم السليبي من الرسل والرسالات.¹

وتدور السورة حول محورين رئيسيين؛ المحور الأول تطهير المجتمع المسلم من رواسب الجاهلية، وبناءه كمجتمع رباني متميز في أخلاقه ونظمه المستمدة من الوحي؛ والمحور الثاني كشف مخططات الأعداء ومكائدهم، ليس لتبرئة المسلمين من أخطائهم، بل لتحذيرهم من الانزلاق في مزالق أعدائهم والوقوع في ما وقع فيه أهل الكتاب من انحراف وضلال. يعدّ علم التصريف علماً أساسياً يهتم بضبط هيكل الكلمات العربية وحماية نطقها من الخطأ والتحريف. فبدون هذا العلم، يصعب التمييز بين معاني كلمات مثل "عبرة" و"عبرة"، ولا يمكن تحديد أصلها في المعاجم إلا من خلال علم الصرف. كما يقدم علم التصريف فوائد أخرى مهمة، منها تسهيل التعرف على الجذر الأصلي للمفردات في المعاجم العربية، خاصة في الحالات الصعبة مثل الأسماء التي حدث فيها نقل لحروفها، والأفعال التي تحتوي على حروف علة؛ وضمان الاستخدام اللغوي الصحيح والسليم، حيث يمكن المتحدث أو الكاتب من التمييز بين الفروق الدقيقة مثل الفرق بين "وعد" و "أوعد".² تتعدد آراء العلماء، سواء القدامى أو المحدثين، حول أبنية الأفعال المزيّدة ودلالاتها، وهو ما أدى بدوره إلى تباين وجهات نظرهم في تفسير معاني زيادات بعض الأفعال في السور القرآنية. ويمكن إرجاع جذور هذا الخلاف إلى عدة أسباب، منها؛ اختلاف آراء النحويين من البصريين والكوفيين حول بعض القضايا الصرفية؛ وتأثر بعض الباحثين المحدثين في مجال

¹ سلامه، محمد حسين، (2002)، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، القاهرة: دار الآفاق العربية. ص42

² رجب عبد الجواد إبراهيم (2002) أسس علم تصريف الأفعال والأسماء، القاهرة دار الآفاق العربية. ص38

اللسانيات الوصفية بالمناهج الغربية في التحليل اللغوي؛ واختلاف المفسرين أنفسهم أحياناً في تحديد المعنى المعجمي الأصلي للفعل، أو في فهم السياق العام للآيات التي وردت فيها هذه الأفعال.¹

ومن هنا يسعى البحث لتوضيح مفهوم الزيادة ووظيفتها وأهميتها في الدرس الصرفي، و تطبيق ذلك على سورة النساء ورصد المعاني التي جاءت بها حروف الزيادة في صيغة أفعل في هذه السورة. تأتي أهمية هذه الدراسة إلى أنها تقوم بتحقيق التعرف على إحدى قضايا علم الصرف المهمة، وهي معاني أبنية الأفعال المزیدة. والوقوف على دلالات أبنية الأفعال المزیدة في سورة النساء، والتأمل في أحد أسرار لغة القرآن الكريم الذي يمثل قمة البيان. بناء على ما سبق تسعى الدراسة الحالية للإجابة على السؤال التالي مستعينة بالمنهجين الاستقرائي والوصفي التحليلي:

ما أثر الزيادة في أبنية صيغة أفعل في سورة النساء على المعاني الصرفية من خلال سياق الآيات؟

الدراسات السابقة

ولقد كثرت الدراسات القديمة والحديثة التي تناولت موضوع معاني الزيادات في أبنية الأفعال، وفي هنا نشير إلى أهمها، منها: دراسة رحاب مهند جاسم (2017) تناولت أبنية الأفعال المزیدة في السور القصار قسمت إلى مبحثين: الاول: يتضمن جانبين: الاول: تضمن أبنية الأفعال المجردة الثلاثية والرابعة ومعانيها ومواقع ورودها في السور القصار، أما الجانب الثاني: فتضمن أغراض الزيادة وحروفها والأفعال التي وردت مزیدة في السورة القصار حسب المعنى الذي أفادته، أما المبحث الثاني: فتضمن تفسير الآيات حسب التنبيه على الأفعال المزیدة كانت مزیدة بحرف أو حرفين أو ثلاثة وبيان الفرق في المعنى بين الآيات التي تحتوي الفعل نفسه.

تناولت دراسة بوخيرة عبدالجليل (2022) الموسومة بـ«الزيادة ومعانيها في أبنية الأفعال في سورة مريم: دراسة صرفية دلالية» إشكالية تحديد الدلالات التي تحملها الأفعال المزیدة في السورة. واعتمدت المنهجية على تحليل بنية الأفعال المزیدة وتتبع معانيها في سياقاتها المختلفة. وأظهرت النتائج أن الأفعال الثلاثية المزیدة بحرف واحد كانت الأكثر انتشاراً، تليها المزیدة بحرفين ثم بثلاثة أحرف. وسيطرت ثلاث صيغ بشكل ملحوظ حيث شكلت مجتمعة 83.33% من إجمالي الأفعال المزیدة البالغ عددها 50 فعلاً، وهي مرتبة حسب الشيوع صيغة "أفعل" ف "افعل" ف "فعل". بينما اقتصر ورود الأفعال المزیدة بثلاثة أحرف على صيغة "استفعل" التي ظهرت مرة واحدة فقط، مما يعزى عادة إلى ثقل هذه الصيغ لكثرة حروفها.

تهدف دراسة روان (2023) إلى تحليل معاني الزيادة في أبنية الأفعال من خلال منظور علماء اللغة القدامى والمحدثين، مع اتخاذ سورة الأنفال أنموذجاً تطبيقياً. وقد قام الباحث بالتعريف بمفهوم الزيادة في الأفعال المجردة وبيان أنواعها وأغراضها، مع تحديد حروف الزيادة ومواقعها، ومناقشة آراء المحدثين في الحروف التي ينبغي اعتبارها زائدة، بالإضافة إلى توضيح مفهوم البناء الصرفي عند القدامى والفرق بين الأبنية والصيغ الصرفية في الرؤية الوصفية. ثم تناولت الدراسة بالتفصيل أنواع الأفعال المزیدة ومعاني مبانيها وإشكالياتها الصرفية. وفي الجانب التطبيقي، حللت الدراسة معاني الزيادة في أفعال سورة

¹ روان، محمد (2023) معاني الزيادة في أبنية الأفعال بين القدامى والمحدثين - سورة الأنفال أنموذجاً- دراسة صرفية دلالية، رسالة ماجستير في اللغة و الأدب العربي، جامعة ورقلة الجزائر. ص7

الأفعال في سياقاتها النصية مستندة إلى آراء علماء الصرف والتفسير اللغوي. وكشفت النتائج أن معنى التعدية كان الأكثر وروداً في السورة، يليه المشاركة فالجعل فالصيرورة. كما أظهرت أن الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف واحد كانت الأكثر تواتراً، حيث وردت جميع أوزانها (أفعل ثم فعل ثم فاعل). بينما اقتصر ورود الأفعال المزيدة بحرفين على ثلاثة أوزان (افتعل ثم تفعل ثم تفاعل)، في حين لم يُستخدم من الأفعال المزيدة بثلاثة حروف سوى وزن استفعل فقط.

تسعى دراسة عماري (2023) إلى توضيح مفهوم الزيادة ووظيفتها وأهميتها في علم الصرف، مع تطبيق ذلك على سورة المعارج، من خلال رصد المعاني التي تضيفها حروف الزيادة في أفعال السورة وأسمائها. تناولت الدراسة مفهوم الزيادة وأنواعها وأغراضها ومواضعها في الكلمة، كما حللت معاني حروف الزيادة في مفردات سورة المعارج، مع التركيز على الأفعال أولاً ثم الأسماء ثانياً. واعتمدت الباحثة المنهج الوصفي في تحليل المعاني الواردة في كتب الصرف العربي وتطبيقها على حروف الزيادة في السورة. وأظهرت النتائج توافق المعاني المشتقة من الأسماء والأفعال المزيدة مع مقاصد السورة الكريمة وموضوعاتها الرئيسية حول يوم القيامة، وأحوال الكافرين وإنكارهم، وصفات المؤمنين. كما قدمت الدراسة تحليلاً مفصلاً لموضوع الزيادة كأحد الموضوعات الحيوية في علم الصرف، وذلك من خلال تطبيقه على إحدى سور القرآن الكريم. وخلصت النتائج إلى أن السورة اشتملت على اثنين وثلاثين فعلاً واثنين وستين اسماً تضمنت حروف الزيادة، مع ملاحظة أن الاستعمال القرآني لها يتوافق تماماً مع قواعد اللغة العربية واستعمالاتها. وقد انحصرت حروف الزيادة في مفردات السورة عملياً في الحروف المذكورة في كلمة "سألتمونيها".

تناولت دراسة شايب، جميلة (2014) البنى الصرفية للأفعال المجردة والمزيدة في سورة غافر، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف هذه البنى وتحليلها في إطار سياقها القرآني. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن البناء الصرفي "فَعْلٌ" لم يرد في السورة، ويرجع سبب قلّة استخدامه إلى محدودية أفعاله وعدم قدرتها على التواكب مع متطلبات السياق؛ لكونها غالباً ما تدل على صفات ثابتة. أن لأبنية الأفعال المزيدة دور كبير في إثراء الدلالات، حيث تضيف معاني جديدة لم تكن موجودة في الصيغ المجردة. فانتقال الفعل إلى بناء يحتوي على حروف أكثر يؤدي بالضرورة إلى إضافة معنى جديد لم يكن متضمناً في الأصل. أن قواعد الزيادة في الأفعال المزيدة ليست ثابتة أو مطردة في جميع الحالات، فليس كل فعل يقبل هذه الزيادات. بل تبقى الزيادة حكراً على أفعال معينة بما يتناسب مع المعنى المراد إفادته. دراسة نزيهة (2023) إنّ الهدف من دراسة أبنية الفعل المزيد في سورة القصص بحيث تقتصر الدراسة على الفعل المزيد و أبنيته انطلاقاً من البعد الدلالي لأنها تختلف في الأبنية بذلك تختلف معانيها أي كل تغير في الأبنية يؤدي إلى تغير في الدلالة وذلك حسب نوع الزيادة لذلك اقتصرت الدراسة على سورة القصص وكشف معاني الأفعال المزيدة فيه.

الإطار النظري

مفهوم الزيادة أنواعها وأسبابها

تعريف الزيادة لغة واصطلاحاً:

يعرف القدماء الزيادة، كما يوضح ابن يعيش، بأنها «إلحاق الكلمة ما ليس منها إما لإفادة معنى، وإما لضرب من التوسع في اللغة».¹ ويذكر ابن منظور في لسان العرب أن معنى الزيادة هو النمو، وهي عكس النقصان، فيقال «زاد الشيء يزيد زيادة»، أي نما وكثر.² أما في المعجم الوسيط، فقد وردت كلمة الزيادة من المادة اللغوية (ز ي د)، وهي تعني «زاد يزيد زيداً وزيادة»، أي نما وتكاثر.³ ويلاحظ من التعريفين السابقين أن المفهوم اللغوي لكلمة "الزيادة" يحمل معنى النمو والكثرة. عرف نجاة عبد العظيم الكوفي الزيادة بقوله: «هو كل ما أضيف إلى أصل البنية لتحقيق غرض لفظي».⁴ والدليل على زيادة الحرف اختفاؤه أو سقوطه في بعض اشتقاقات الكلمة.⁵ ومثال ذلك حرف الألف في كلمة "قاتل"، وحرف الميم والواو في كلمة "مقتول" المشتقتين من المادة الأصلية "قتل"، فهذه الحروف تعتبر زيادة في التصريفات المختلفة.⁶ وبالتالي فإن الزيادة تمثل أحد أهم مصادر إثراء المعاني وتنوع طرق الأداء. وتحقق هذه الزيادة بإضافة حرف من الأحرف العشرة التي جمعت في جملة "سألتهمونها"، حيث يتم اختيار الحرف المناسب وفقاً للمعنى المطلوب.

أسباب الزيادة

تستخدم الزيادة لأغراض معنوية عندما تضيف دلالة جديدة محددة، مثل التضعيف (تكرار أحد الحروف) كما في "قَتَلَ" التي أخذت من "قَتَلَ"، حيث أفادت التكرير والتفعيل (جعل الفعل أكثر شدة أو تكراراً). وتستخدم الزيادة للإلحاق عندما يكون الغرض هو مجرد زيادة حروف الكلمة لتتشكل بصيغة جديدة دون إضافة معنى صرفي جديد، مثل تحويل الفعل "دَخَرَ" إلى "جَلَبَبَ" لمجرد ملحقاته بصيغة رباعية. أو تحويل الفعل الثلاثي "ضَرَبَ" إلى "ضَرَبَبَ" ليكون رباعياً. وهذا النوع يعدّ توسعاً في اللغة، وهدفه هو اشتقاق كلمات جديدة ذات بناء معين (كرباعية الأحرف) دون أن يكون للزيادة معنى مستقل. فلا يعني أن الزيادة للإلحاق لا تغير المعنى أبداً، فقد ينتج عن هذه الزيادة معنى جديد مختلف، فمعنى "حَوَقَلَ" (الذي يدل على قول "حَوْقًا") يختلف عن معنى "حَقَلَ"، وكذلك "شَمَلَل" يختلف عن "شَمَل".⁷

الزيادة في الأفعال تكون لغرضين رئيسيين إما لإفادة معنى صرفي جديد (مثل التكرير أو السببية)، أو للغرض اللفظي وهو الإلحاق (تكرير حروف الكلمة دون معنى جديد). لكن هناك رأي ثالث يضيف نوعاً ثالثاً من الزيادة لا يخدم أيّاً من الغرضين السابقين، وهو ما رفضه "صاحب شرح الشافية" بحجة أن أي زيادة في المبنى لابد أن يكون لها غرض، وإلا ستكون عبثاً. يرى أنصار هذا الرأي الثالث أن هذه الزيادة تفيد تقرير المعنى الأصلي وتأكيد، وليست مجرد إضافة بلا فائدة. ويستدلون على ذلك بالحروف الزائدة في النحو: مثل "الباء" في "كفى بالله" و "من" في "ما من إله"، حيث لا

¹ ابن يعيش، (2001)، شرح المفصل، بيروت، دار الكتب العلمية. ص151

² ابن منظور، (1997)، لسان العرب، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. ج/3 ص198

³ مجمع اللغة العربية، (2004)، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4. ص409

⁴ الكوفي، نجاة عبد العظيم، (1989)، أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، دار الفكاك للنشر والتوزيع. ص21

⁵ الفقهي، سعيد كريم، (لا تا)، سؤال وجواب في قواعد الصرف العربي، الإسكندرية، الدار العالمية للنشر والتوزيع. ص7

⁶ عبد الغني، أمين أمين (1999)، الصرف الكوفي، مر: عبده ال ارجحي وآخرون، الإسكندرية، قلم ابن خلدون. ص29

⁷ الأسترايادي، (1982) ج/1 ص51

تضيف معنى جديداً ولكنها تؤكد المعنى القائم وتثبتته. الهمزة الزائدة في الصرف مثل الهمزة في "أقالني" (بمعنى قَضَى دَينِي)، فيقولون إن وظيفتها هي التأكيد والمبالغة في المعنى الأصلي للفعل "قال"، وليست مجرد زيادة بلا غرض.¹ النتيجة التي يخلص إليها الكاتب هي أن كل زيادة في المبنى (سواء في الصرف أو النحو) لابد أن يكون لها غرض، إما معنوي (إضافة دلالة جديدة) أو لفظي (تأكيد المعنى الأصلي وتثبيتته)، ولا وجود للزيادة العبثية التي لا هدف منها.

يصنف العلماء الزيادة في الكلمة إلى نوعين رئيسيين؛ 1. زيادة حرف أصلي (التضعيف) هنا لا تضاف حروف جديدة، بل يتم تكرار أحد الحروف الأصلية للكلمة. على سبيل المثال "قَدَّمَ" الحرف المضاعف فيه هو العين (الدال) من أصل "ق د م" و"اَحْضَرَّ": الحرف المضاعف هو اللام (الراء) من أصل "خ ض ر". 2. زيادة حرف من حروف "سألتمونيها" هنا تضاف حروف جديدة ليست من أصل الكلمة. هذه الحروف هي (س، أ، ل، ت، م، و، ن، ي، هـ، ا). لهذه المجموعة جمل تذكيرية أخرى مثل: "أمان وتسهيل"، "هناء وتسليم". الحرف يعتبر زائداً إذا كان يمكن حذفه مع بقاء المعنى الأساسي للكلمة قائماً. مثال الفعل "أَفْسَدَ" إذا حذفنا السين يصبح "أَفَدَ" وهذا لا علاقة له بمعنى الإفساد، لذا فالسين أصلية. إذا حذفنا الهمزة يصبح "فَسَدَ" وهو يحافظ على المعنى الأساسي، لذا فالهمزة زائدة. لهذا الغرض وضع الميزان الصربي (فَعَلْ)، فهو أداة أساسية لفصل الأصول (الفاء، العين، اللام) والتي تمثل الجذر الثلاثي للكلمة؛ والزوائد (أي حرف آخر مضاف). مثال تطبيقي كلمة "انْطَلَقَ" وزناها على الميزان الصربي هو "انْفَعَلَ". نستنتج أن أصولها هي الطاء واللام والقاف (ف ع ل)؛ وزوائدها هي الهمزة والنون (ان).²

معظم علماء اللغة المحدثين قد اتفقوا مع القدامى في تحديد حروف الزيادة، والتي تجمعها جملة "سألتمونيها". ومع ذلك، يبرز عالم لغوي حديث هو تمام حسان برأي مخالف وجذري. يرى تمام حسان أن فكرة حصر الزيادة في حروف "سألتمونيها" هي فكرة قاصرة وغير دقيقة. وينطلق من مبدأ أوسع وهو «كل حرف في اللغة العربية، من الناحية العملية والنظرية، يمكن أن يكون حرفاً زائداً إذا استدعى المعنى ذلك».³ يقدم "تمام حسان" أمثلة عملية لدعم رأيه المخالف للرأي التقليدي، كلها من الأفعال الرباعية مثال "دَحْرَجَ" يظهر أن هذا الفعل له صلة بالفعل الثلاثي "دَرَجَ". الحرف الزائد هنا هو الحاء، وهو ليس من حروف "سألتمونيها". مثال "زَغَرَدَ" يظهر أن هذا الفعل له صلة بالفعل الثلاثي "غَرَدَ" (كغرد العصفور). الحرف الزائد هنا هو الزاي، وهو أيضاً ليس من حروف "سألتمونيها".⁴، يعارض تمام حسان بذلك المنهج السائد لدى معظم علماء اللغة العربية التقليديين، والذي يقتصر على قبول الزيادات التي وردت في الاستعمال المسموع من كلام العرب الأصلي. منهج القدامى (التقليدي) يعتبر أن قواعد الزيادة ليست قياسية مطردة على جميع الكلمات. فلا يمكنك، على سبيل المثال، أن تزيد الهمزة على أي فعل ثلاثي بشكل آلي فتقول "أَظَرَفَ" من "ظرف" أو "أَنْصَرَ" من "نصر" لمجرد أنها

¹ المصدر السابق: ص 38

² انظر: ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف للمازني (د.ت)، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ج 1 ص 11.

³ حسان، تمام، (1991)، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء. ص 158

⁴ المصدر نفسه: ص 158

جازت في أفعال أخرى مثل "أَعْلَمَ". ولهذا السبب نجد أنهم قد انتقدوا الأخفش عندما قاس أفعالاً مثل "أَظُنَّ" و "أَحْسِبُ" و "أَخَالُ" على أفعال مثل "أَعْلَمَ" و "أَرَى".¹ بناء على هذا المنهج، فإن قبول أي زيادة في أي كلمة يعتمد على السماع والنقل، وليس على القياس المطلق. أي أنك تحتاج إلى دليل على استعمال اللفظ نفسه بالزيادة، وفي المعنى المحدد الذي تستخدمه فيه.

فالمنهجان المطروحان المنهج التقليدي (القديم) ينسب المعنى الجديد للحرف الزائد نفسه. على سبيل المثال عند تحويل "دخل" إلى "أدخل"، يقولون إن الهمزة هي "همزة التعدية"، أي أن الحرف نفسه يحمل المعنى. منهج تمام حسان (الحديث) يرفض هذه الفكرة ويرى أن المنهج السليم هو نسب المعنى الجديد للبنية أو الصيغة الصرفية ككل (مثل وزن "أَفْعَلُ") وليس للحروف المضافة وحدها.² يقدم حسان سبباً منطقياً لرفضه المنهج التقليدي إذا أسندنا المعنى للحرف الزائد وحده، فإننا نخرجه من كونه "زيادة" إلى كونه "إصافاً" أو "لاصقاً" له معنى مستقل بذاته (مثل حروف الجر التي لها معان محددة). الحروف الزائدة في الصرف لا تعمل بمفردها لإفادة المعنى، بل تؤدي وظيفتها فقط من خلال اندماجها في البنية الصرفية الكاملة للكلمة. فالتعدية لا تتحقق بمجرد وجود الهمزة، بل بتكون الفعل على وزن "أَفْعَلُ".

هناك أسباب عديدة ومتنوعة لوجود الزيادة في اللغة العربية، ويمكن تلخيص بعض الأسباب الرئيسية على النحو التالي:

1. التوسع اللغوي وابتكار المعاني والهدف توليد صيغ جديدة لتعبر عن معاني جديدة. على سبيل المثال زيادة الألف في "كاتب" (من الفعل كَتَبَ) لإفادة معنى الوصف (اسم الفاعل).

2. الإلحاق (جعل الكلمات متشابهة في البناء) والهدف منه جعل كلمة ما مساوية لأخرى في عدد الحروف وتصريفها. على سبيل المثال الفعل "سَيَّطَرَ" ألحق ببناء "فَيَعَلَ" (مثل: تَهَرَّ) فأصبح يتصرف مثله (يُسَيَّطِرُ، مُسَيَّطِرٌ، مُسَيَّطَرَةٌ).³
3. الإمكان (تسهيل النطق) والهدف منه تجنب البدء بحرف ساكن، مما يجعل النطق مستحيلاً أو صعباً. على سبيل المثال زيادة همزة الوصل في "انْتَصَرَ" لأن النطق لا يسمح بالبدء بحرفي "ن" و "ت" ساكنين معاً (انْتَصَرَ).

4. التعويض يهدف تعويض حرف محذوف أو مهمل. على سبيل المثال التاء في "هَبَّة" (من الأصل وَهَبَ) جاءت عوضاً عن حرف الواو الذي حذف.

5. البيان (التوضيح) يهدف توضيح حركة أو حرف قد يكون غير ظاهر. على سبيل المثال بيان الحركة كما في "كتابه" (بعد الياء) لتوضيح حركة الإضافة. وبيان الألف كما في النداء "وازيداه" حيث زيدت الألف والهاء لبيان الصوت في حالة النداء.

فوائد صيغة أفعل

¹ الأسترايادي، (1982)، ج/ص31

² حسان، (1991)، ص161

³ نحر، هادي، (2010)، الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية، الأردن، عالم الكتب الحديث. ص 33-34

لا توجد زيادة في اللغة العربية بدون سبب أو هدف. فالحرف الزائد - سواء في علم الصرف أو النحو - له وظيفة محددة، ووجوده ليس عبثاً أو بلا فائدة. الزيادة هي مجرد مصطلح تقني في علم الصرف أو النحو للإشارة إلى أن لهذا الحرف وظيفة معينة (صرفية أو نحوية) وليس معناه أنه غير مهم. هذه النظرة الوظيفية للزيادة هي حقيقة أساسية في دراسة اللغة. ونتيجة لهذا المبدأ، فإن لكل حرف زائد معنى أو وظيفة محددة يساهم بها في المعنى الإجمالي للجملة أو الكلمة. وسيقوم الباحث بتفصيل هذه المعاني والوظائف في الجزء التالي من الدراسة.

عندما نزيد حرف الهمزة على الفعل الثلاثي (ليصبح على وزن أَفْعَلْ)، فإن هذا لا يغير فقط شكل الكلمة، بل يضيف معاني جديدة ودقيقة لم تكن موجودة في الفعل الأصلي. يمكن تصنيف أهم المعاني التي تفيدها صيغة أفعل كما يلي:

1. التعدية: جعل الفعل اللازم متعدياً، أو زيادة عدد مفاعيله. مثال: "خَرَجَ" (لازم) و"أَخْرَجْتُهُ" (متعد). "عَلِمَ" (متعد لمفعولين) "أَعْلَمْتُ" (متعد لثلاثة مفاعيل).¹
2. المطاوعة: أن يكون الفعل نتيجة لفعل آخر (مطاوع "فَعَلَ"). مثال: "فَطَّرْتُهُ" (جعلته يفطر) و"أَفْطَرْتُ" (أصبح هو مفطراً).
3. التمكين والإعانة: مساعدة شخص على القيام بفعل ما. مثال: "أَخْلَبْتُ فُلاناً" أي ساعدته على الحلب.²
4. الدخول في الزمان أو المكان: مثال: "أَصْبَحَ" (دخل في وقت الصباح)، "أَبْجَرَ" (دخل إلى البحر).³
5. الصيرورة: أن يصبح الفاعل ذا صفة أو شيء. مثال: "أَثْمَرَ الشَّجَرُ" (صار له ثمر)، "أَلْبَنَ الرَّجُلُ" (صار صاحب لبن).
6. الوصول إلى العدد: مثال "أَتَسَعْنَ" (صرن تسع بنات).⁴
7. وجود صفة معينة: العثور على المفعول به بتلك الصفة. مثال "أَكْرَمْتُ زَيْدًا" (وجدته كريماً).⁵
8. استحقاق صفة معينة: مثال "أَخْصَدَ الزَّرْعُ" (أصبح مستحقاً للحصاد).⁶
9. السلب (الإزالة): إزالة معنى الفعل الأصلي. مثال: "أَشْكَيْتُ زَيْدًا" (أزلت شكواه).⁷
10. الكثرة أو التكاثر: مثال "أَشَجَرَ الْمَكَانُ" (كثر شجره).
11. التعريض: عرض الشيء لفعل ما. مثال "أَبْعَثُ الْمَنْزِلَ" (عرضته للبيع).⁸
12. بمعنى "اسْتَفْعَلَ": مثال "أَعْظَمْتُهُ" (بمعنى اسْتَعْظَمْتُهُ).

¹ ياقوت، محمود سليمان، (1999)، الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، حولى: مكتبة المنار الإسلامية، ص284

² يعقوب، إميل بديع، (1983)، موسوعة النحو والصرف والإعراب، بيروت، ص159-160

³ ياقوت، (2005)، ص284

⁴ الشنقيطي، محمد محفوظ بن الشيخ المسومي الموريتاني، (لا تا)، وشاح الحرة، تح: محمد محمود، الشرق الأوسط، ص54

⁵ ياقوت، (2005)، ص284

⁶ الشنقيطي، (لا تا)، ص54

⁷ ياقوت، (2005)، ص284

⁸ الشنقيطي، (لا تا)، ص54

13. بمعنى الفعل المجرد (بدون زيادة معنوية): مثال "أَسْرَى" (بمعنى سَرَى)، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

14. الدعاء: مثال "أَسْقَيْتُ" (أَي دَعَوْتُ لَهُ بِالسُّقْيَا).¹

15. المصادفة: مثال: "أَجَلَّتُهُ" (صادفته وهو بخيل).²

16. أن يكون بمعنى الأصل (نادر): مثال "أَفْلَحَ" (بمعنى فاز)، مع أن "فَلَحَ" بهذا المعنى لم يرد.³

17. الدلالة على أن الفاعل قد صار صاحب منه الفعل: مثال "أَلَبَّنَ الرجل"، وأتمَر أي صار صاحب لبن وتمر.⁴

يظهر من هذا التصنيف أن صيغة "أَفْعَلَ" هي أداة لغوية غنية ومتنوعة، تسمح للغة العربية بالتعبير عن دلالات دقيقة ومتعددة من خلال قاعدة صرفية واحدة، مما يوسع من قدرات التعبير في اللغة ويجعلها أكثر مرونة وثراءً.

القسم التحليلي

فيما يلي نتناول صيغة أفعل والمعاني الصرفية التي تفيدها مستعيناً بأقوال المفسرين:

صيغة أفعل:

الحرف الزائد في صيغة أفعل هو الهمزة، وهو الموضع الوحيد الذي تُزاد فيه الهمزة على فعلٍ، قال سيبويه: ولا تلحق الهمزة زائدة موصولة في شيء من الفعل إلا في أفعل⁵ وقد دلّت صيغة أفعل في سورة النساء على ما يلي:

أ. التعدية:

من معاني أفعل التعدية، كما في قوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ افتتحت سورة النساء جملة من التشريعات الاجتماعية والإنسانية، وكان في مقدمتها معالجة حقوق اليتامى والنساء باعتبارهما أضعف الفئات في المجتمع. فجاءت هذه الآية الكريمة لتضع مبادئ أساسيين: أ. وجوب العدل مع اليتامى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ أي إن خشيتهم الميل والجور في حقوقهم. ب. تنظيم الزواج ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، كحلٍ بديل عن أكل أموال اليتامى أو ظلمهم في النكاح. وقد ربطت الآية بين خوف الظلم وتشريع الزواج، فدلّ ذلك على أن الزواج في الإسلام ليس فقط علاقة شخصية بل هو أيضاً وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية. فيما يتعلّق بالفعل المزيد في هذه الآية ومعناه

¹ يعقوب، (1983)، ص 159-160

² الأندلسي، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياي، (1990)، شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي محتون، هجر للطباعة، ج 3. ص 449

³ يعقوب، (1983)، ص 159-160

⁴ الخويسكي، زين كامل، (2006)، الصرف العربي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص 52

⁵ سيبويه، عمرو، (1988)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي. ج 4/ص 280

ففعّل تقسطوا في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد "ألا"، على وزن أفعل (أقسط - يقسط - إقساطاً). الفرق بين "قسط" و"أقسط"، إنّ "قسط" (بلا همزة) جار وظلم. "أقسط" (بهمزة) عدل. وهذا من الأضداد التي نبتّه إليها ابن فارس في مقاييس اللغة.¹ يقول الطبري: «المعنى: إن خفتُم أن لا تعدلوا في نكاح اليتامى فدعوا نكاحهن وانكحوا غيرهن».² يقول القرطبي: «الإقساط عدل، والقسط: جور».³ فعل "لا تقسطوا" هنا جاءت للتعدية، أي: جعل الفعل متعدياً للغير، فالإقساط هو إيقاع العدل على الغير، لا مجرد كونه عادلاً في نفسه.

وفي قوله تعالى: وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٢﴾ الفعل في العربية «آتى / أتى» ينسب إلى جذر (أ-ت-ي)؛ وفي الاستعمال الكلاسيكي يظهر الشكلان (آتى) بمعنى «أتى/جاء» وأحياناً (آتى/أتى) بمعنى «أعطى/أوتى» بحسب السياق؛ وفي القرآن صيغة الإيتاء بهذا الشكل تشير غالباً إلى «الإعطاء/الإيتاء».⁴ الفعل «آتى» يحمل علامة الزيادة/التحويل التي تشبه وظيفة أفعل (أي أنّ الفعل المفرد تغيّر معناه وصرفَ ليعطي دلالة «الإيتاء/التعدية»).

كما في قوله تعالى: وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ تحدّث عن معنى فعل أشهدوا بعض المفسرين: يقول الطبري في هذا الصدد «إذا دفعتم إليهم أموالهم بعد البلوغ والرشد، فأشهدوا عليهم أنهم قد قبضوا أموالهم، كي لا يكون لكم ولهم بعدها خصومة».⁵ يرى ابن عاشور أن صيغة أشهدوا تدل على الإيجاب للإرشاد، أي طلب الشهادة عند دفع المال؛ لئلا يقع التنازع.⁶ كما يعتقد الزمخشري بأنّ «فأشهدوا» بمعنى أقيموا الشهود ليكون أوثق وأبعد من التهمة.⁷ بناء على ما سبق يمكن القول إنّ هذا الفعل يفيد معنى التعدية (جعل الفعل اللازم «شهد» متعدياً وأصبح "أشهد" أي جعل غيره يشهد).

¹ ابن فارس، (1979) مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر. ج/5 ص58

² الطبري، (1955)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، القاهرة: دار المعارف. ج/4 ص246

³ القرطبي، (1993)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية. ج/5 ص8

⁴ ابن منظور، (1997)، ج/14، ص17

⁵ الطبري، (1955)، ج/6 ص403

⁶ ابن عاشور، الشيخ محمد، (1984)، تفسير التحرير والتنوير، ج/4، 5، 6، تونس: الدار التونسية للنشر. ج/4 ص234

⁷ الزمخشري، جار الله، (1987)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، بيروت: دار المعرفة. ج/1 ص496

وفي قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ فعل أحصن صيغة ماضٍ مبني للمجهول، مع نون التوكيد الثقيلة من باب الإفعال، الفعل أحصن في صيغة المبني للمعلوم يأتي بعدة معانٍ: ¹ أحصن الرجل المرأة زوجها. أحصنها الإسلام أي منعها وحماها من الزنا. وعليه فوزن أفعال هنا يفيد التعدية، أي جعل الشيء ذا حصانة ومنعة. فيما يتعلق بمعنى الفعل في الآية قال الطبري: «أي إذا تزوجن فأصبحن محصنات بالزواج». ² وقال الزمخشري: «أي إذا دخلن في عصمة الأزواج». ³ فالمعنى هنا أدخلن في حالة الحصانة بالعقد الشرعي (الزواج)، لا باختيارهن الفردي. إذن، صيغة أحصن تفيد التعدية مع البناء للمجهول حيث التحول إلى حالة العفة بالزواج.

وقوله تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ الفعل أَنْعَمَ على وزن أفعل، وهو مزيد بالهمزة على الفعل الثلاثي نَعِمَ (بكسر العين) بمعنى صار ذا نعمة أو في نعمة. من أبرز معاني صيغة "أَفْعَلَّ" أن تكون للتعدية، أي جعل الفعل اللازم متعدياً. والفعل "نَعِمَ" لازم بمعنى عاش في الخير، فإذا قيل: أَنْعَمَ اللَّهُ على عبده صار متعدياً أي جعله في النعمة وأسبغها عليه. وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين؛ فالطبري يفسر "أَنْعَمَ اللَّهُ عليهم" أي أنعم عليهم بهدايته وفضله. ⁴ والزمخشري يوضح أن المراد إظهار أثر النعمة بالهداية والصلاح. ⁵ أما ابن عاشور فيعتبر التعدية هنا إشارة إلى أن الله هو الفاعل للنعمة ابتداءً، فلا تنسب لغيره. ⁶

وفي قوله تعالى: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ الفعل «يُدْرِكْكُمْ» وهو من باب أفعل (أدرك - يُدرك)، الأصل "دَرَكٌ" قد يستعمل لازماً بمعنى "الحق ووصل"، فإذا أدخلت عليه همزة التعدية صار "أَدْرَكٌ" أي جعله لاحقاً وواصبلاً إليه. ففي الآية: «يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ» أي يلحقكم الموت ويصل إليكم

¹ انظر: ابن فارس، (1979)، ج/1 ص629

² الطبري، (1955)، ج/8 ص183

³ الزمخشري، (1987)، ج/1 ص525

⁴ الطبري، (1955)، ج/9 ص394

⁵ الزمخشري، (1987)، ج/1 ص519

⁶ ابن عاشور، (1984)، ج/5 ص247

حيث كنتم. قال الطبري: «معناه أنّ الموت مدرككم لا محالة، أينما كنتم»¹. وقال الزمخشري: «يدرككم الموت: يلحقكم ويصل إليكم»². فالمعنى الأصلي هنا هو التعدية. أحياناً يغني "أفعل" عن "فعل"، كقوله: "أسرى" و"سرى". وهنا "أدرك" يقابل "درك"، والمعنى واحد تقريباً (بلغ، لحق). فكأن الهمزة هنا لم تغير جوهر المعنى كثيراً، بل قوّت التعدية. قال ابن عاشور: «الإدراك هو اللحاق بالشيء والوصول إليه... والمعنى: أن الموت لا بد أن يصل إلى الناس أينما كانوا»³. فالمعنى قريب من الفعل الثلاثي "درك". بناء على ما سبق الفعل «يُدْرِكُكُمْ» من باب التعدية أساساً: أي يجعل الموت لاحقاً بكم وواصلًا إليكم أينما كنتم. يمكن أن يفهم أيضاً في ضوء معنى أفعل، فعل، حيث لا فارق كبير بين "درك" و"أدرك"، كما أشار ابن عاشور.

ب. الدلالة على التمكين

قد نجد صيغة أفعل في سورة النساء تدلّ على التعريض أو التمكين كما في قوله تعالى: في قوله تعالى: وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ فعل آنس على وزن أفعل جاء ليدلّ على التعريض أو التمكين أي أنّ المربي لليتيم حين يتتبعه ويعامله، يعرضه لاختبار يظهر به رشده، فإذا ظهر وتمكّن وُصف بالرشد. في هذا الصدد يقول ابن عاشور: «المعنى إدراك الرشd إدراكاً بيناً بعد الاختبار، لا مجرد الظن»⁴.

وفي قوله تعالى: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ورد الفعل "يُوصِي" على وزن إفعال (أوصى - يوصي)، وهو مزيد بالهمزة على أصل الفعل "وصى". وقد جاءت هذه الزيادة لتبرز المعنى الشرعي المؤكّد، حيث لم يقتصر الفعل على معنى الوصية البشرية (وهي مجرد عهد أو تذكير)، بل ارتقى هنا ليعبر عن الإلزام الإلهي والفرض القطعي في توزيع الموارث. وهذا ما يؤكّد أن صيغة المزيد في القرآن ليست زيادة شكلية فحسب، بل هي زيادة مبنى ومعنى تعكس دقة التعبير القرآني وغايته. إن "أفعل"

¹ الطبري، (1955)، ج/8ص501

² الزمخشري، (1987)، ج/1ص516

³ ابن عاشور، (1984)، ج/5ص136

⁴ المصدر نفسه 229/4

قد يدل على التمكين والإعانة. في "يوصيكم" نلمس معنى التمكين، أي أن الله مكن العباد من معرفة نصيب كل وارث بدقة. إذ أن "الإيصاء" هنا تمكين للعباد من إقامة العدل في قسمة الميراث، ومنعهم من التلاعب في الحقوق، فجاء الفعل المزيد ليؤكد قوة الإلزام الشرعي. وقول ابن عاشور يدعم معنى الاستحقاق والتمكين: «الإيصاء مستعمل هنا في معنى الإعلام المؤكد المقرون بالطلب، فهو أبلغ من الوصية المعتادة...»¹

وفي قوله تعالى: أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ الفعل «أَعْتَدْنَا» من الجذر (ع ت د)، وجاء الفعل على وزن أَفْعَلَ - يُفْعِلُ - إِفْعَالًا، أي أنه من باب الإفعال، ودخول الهمزة على أوله جعله متعديًا بعد أن كان الفعل الثلاثي «عَتَدَ» لازمًا في الأصل. فزيادة الهمزة صار معناه: جعل الشيء مُعَدًّا أو هيَّأه إعدادًا تامًّا. ومن هنا، فإن «أَعْتَدْنَا» تعني أعددنا وهيئنا وثبتنا العذاب إعدادًا مقصودًا مسبقًا للكافرين. من بين سبعة عشر معنى لصيغة (أفعل) التي ذكرها الصرفيون (يعقوب، ياقوت، الشنقيطي، الأندلسي)، يمكن القول إن فعل أَعْتَدْنَا في هذه الآية يفيد معنى التمكين أي تمكين الشيء من الوقوع. و«أَعْتَدْنَا» تفيد أن الله تعالى مكن العذاب وهيَّاه بحيث صار مهيبًا للإنزال بالكافرين. فيكون معنى الفعل جعلنا العذاب في حالة من التهيئة والتمكين التام، بحيث صار مُعَدًّا للكافرين ومتحققًا لا محالة.

وفي قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ يمكن فهم الفعل «أَوْحَيْنَا» في ضوء دلالة التمكين والإعانة من معاني «أفعل». فالإيحاء الإلهي للنبي ليس مجرد إخبار، بل تمكين للنبي من حمل الرسالة وأداء الأمانة، أي أن الله أعانه وأقدره على تلقي الوحي. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا البعد في قوله: «الوحي تمكين من الله للأنبياء ليتلقوا كلامه، وهو نوع من العون الإلهي في إدراك الغيب»². وعليه، فالهمزة هنا لا تقتصر على التعدية، بل تفيد أيضًا إعطاء القوة والتهيئة لقبول الوحي، وهو معنى دقيق من معاني «أفعل» في باب التمكين.

ج. الدلالة على الصيرورة:

قد تأتي صيغة أفعل للدلالة على الصيرورة، كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾. بإمعان النظر في الآية نلاحظ أن صيغة "أفعل" تفيد معنى الصيرورة، أي الانتقال

¹ المصدر نفسه 4 / 238

² المصدر السابق، (1984)، ج7/ص205

من حال إلى حال. ف"آمن" تحمل دلالة الصيرورة، إذ تعني صار المرء مؤمناً بعد أن لم يكن كذلك، وانتقل من حال الكفر أو الشك إلى حال الإيمان. وبذلك يتضح أنّ النداء القرآني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يخاطب المؤمنين باعتبارهم أصحاب صفة راسخة (الإيمان)، ويدعوهم للالتزام بما يترتب عليها من تكاليف شرعية وأوامر إلهية.

أما قوله تعالى: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٢﴾ فالفعل (أطعنكم) مأخوذ من "طاع" الذي يفيد الانقياد. وقد جاءت صيغة أفعّل هنا لتدل على الصيرورة والانقياد، أي جعلت المرأة نفسها في حالة الطاعة والخضوع لأمر الزوج. وهذا يتفق مع ما أورده الصرّفيون من أن "أفعّل" قد يأتي للدلالة على أن الفاعل صار ذا صفة معينة. فمعنى "أطعنكم" أي: امتثلن ما يجب عليهن من الحقوق الزوجية، ودخلن في طاعة الأزواج فيما يطلب منهن بالمعروف. وقد قال الراغب الأصفهاني: «الطاعة: الانقياد... وأطاعه: امتثل أمره»¹. وفسّر الطبري الآية بقوله: «فإن أطعنكم في ما تلتمسون منهن من الطاعة»².

في قوله تعالى: وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ فعل: تُحْسِنُوا من باب الإفعال. يفيد معنى الصيرورة أي أن الفاعل صار على صفة، ومعنى التمكين والإعانة أي أن الفاعل مكّن نفسه من تحقيق تلك الصفة. ف أحسن لا تعني فقط "فعل الحسن"، بل "جعل الفعل حسناً" أو "صار فعله ذا حسن وإتقان". إذن "وإن تُحْسِنُوا وتَتَّقُوا" تعني إن تجعلوا أعمالكم حسنة كاملة في الإحسان، وتضبطوها بالتقوى. قال الطبري: «أي إن أحسنتم إلى نساءكم وقمتم عليهنّ بالقسط والتقوى»³. وقال الزمخشري: «الإحسان هو المبالغة في أداء الحق، أي إن أنصفتهم ورفقتهم»⁴. وقال ابن عاشور: «تُحْسِنُوا: أي تفعلوا ما هو حسن في العشرة والمعاملة، أي تسلكوا سبيل المروءة في إصلاح العلاقة الزوجية»⁵. بناء على أقوال المفسرين أيضاً معنى الوزن (أفعّل) هنا الدلالة على الصيرورة والتمكين من الفعل الحسن.

تدلّ صيغة (أفعّل) في قوله تعالى: إِنَّ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ على صيرورة الفاعل أو المفعول في حالة جديدة. ف«أبدى» تفهم على أنه جعل الشيء في حالة البدو والظهور، و«أخفى» جعل الشيء

¹ الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، (1992)، المفردات في غريب القرآن، مصحح: صفوان عدنان داوودي، بيروت: دار الشامية، ص315

² الطبري، (1955)، ج/8ص312

³ المصدر نفسه ج/8ص296

⁴ الزمخشري، (1987)، ج/1ص536

⁵ ابن عاشور، (1984)، ج/5ص278

في حالة الخفاء. أي أن الفعلين يدلان على تحوّل في الحالة من باطنٍ إلى ظاهر، أو من ظاهر إلى باطن. يقول الرازي في تفسيره: «ذكر الإبداء والإخفاء ليشمل جميع أحوال الأعمال، فما كان من الخير سرّاً أو علناً، فالله يعلمه»¹. فهو يرى أن الفعلين يعبران عن حالتين متقابلتين في الصيرورة المعنوية.

د. الدخول في شيء:

قد تأتي صيغة أفعال للدلالة على الدخول في شيء كما في قوله تعالى: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ الفعل "أفضى" يأتي على وزن أفعال، وهو فعل مزيد بالهمزة، ومن ثمّ فهو يندرج ضمن المعاني التي ذكرناها لزيادة الهمزة في الفصل الثاني. من حيث الاشتقاق أفضى مأخوذ من الجذر (فَضَى) الذي يدلّ على السعة والانكشاف. يقال: فضى إلى الشيء أي وصل إليه وانتهى إليه. بزيادة الهمزة على "فضى" صار "أفضى" بمعنى وصل وأوصل وانتهى، وهو هنا متعدّد بنفسه. المفسّرون اتفقوا على أنّ أفضى بعضكم إلى بعض كناية عن المباشرة والاتصال الجنسي والجماع، في هذا الصدد يقول الزمخشري «الإفضاء كناية عن الجماع، لأن كل واحد من الزوجين يفضي بصاحبه إلى ما كان محبوباً عنه»². كما يقول ابن كثير: «أي جامعها ولامسها»³. وكذلك الطبري في تفسيره يقول: «أفضى بعضكم إلى بعض، أي وصل بالجماع»⁴. ويشمل أيضاً معنى المخالطة التامة والاتصال الخاصّ، وهو ما يؤكّد المعنى اللغوي الوصول والبلوغ. بناء على ما جمعنا من دلالات "أفعل"، فإن أنسب المعاني هنا الدخول في الشيء إذ المعنى أيضاً الدخول في المخالطة الخاصة.

هـ. وجود الشيء على صفة معينة

قد تدلّ صيغة أفعال في سورة النساء على وجود الشيء على صفة معينة كما في قوله تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْبِتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الفعل يحبّ وهنا الهمزة ليست للتعدية المجردة فقط، بل تفيد

¹ فخر رازي، محمد بن عمر، (1999)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج/10 ص218

² الزمخشري، (1987)، ج/1 ص524

³ ابن كثير، (1998)، ج/1 ص428

⁴ الطبري، (1955)، ج/8 ص128

أحد المعاني الأخرى لوزن "أفعل" الواردة في كتب الصرف. فقد ذكر الصرفيون أنّ "أفعل" قد يأتي بمعنى الدلالة على وجود الشيء على صفة معينة، كقولهم: "أكرمت زيدا" أي وجدته كريماً. وعلى هذا، فـ "أحبّ" تفيد أن الله سبحانه وجد في عبده صفة المحبة أو أنه متصف بها. لكن في السياق القرآني "إن الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً" تفيد النفي عن تعلق محبة الله بمؤلاء المتكبرين. وهذا يتصل بالمعنى العقدي والأخلاقي، حيث إنّ محبة الله هنا كناية عن رضاه وقبوله، فالمعنى: لا يرضى الله ولا يقبل المختال المتكبر. قال الراغب الأصفهاني: «المحبة إرادة ما يراه خيراً، فإذا وُصفت لله فهي إنعامه على العبد وإرادته الخير له»¹. وقال ابن عاشور: "نفي المحبة هنا كناية عن البغض وسوء العاقبة"². وعليه في "أحبّ" (على وزن أفعل) أن الهمزة جاءت للدلالة على وجود الفعل على صفة معينة، أي صفة المحبة، وهو من معاني "أفعل" التي نص عليها الصرفيون.

و. معنى الإظهار

قد تفيد صيغة أفعل معنى الإظهار كما في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ الفعل "أنزل" من المزيد بالهمزة على وزن أفعل، أصله "أنزل". وفيه معنى الإظهار، أي أظهر الوحي للرسول بعد أن كان غيباً. قال الطبري: «المراد بما أنزل إليك: القرآن، وبما أنزل من قبلك: الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه»³. وقال الزمخشري: «أنزل أوحى، ونسب الإنزال إلى الله على سبيل التعدية»⁴. وقال ابن عاشور: «أنزل إليك: أوحى إليك، أي أظهر لك ما كان في عالم الغيب من شرع الله»⁵. إذن، معنى "أنزل" يفيد معنى الإظهار ومعنى التفسير (الوحي والإبانة).

وزن إفعال كثيراً ما يدل على الإظهار (كقولهم: أعجم الكتاب أي أظهره وأزاح عجمته). في قوله تعالى: وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَأَمَّى النِّسَاءِ اللَّائِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

¹ الراغب الأصفهاني، (1992)، ص442

² ابن عاشور، (1984)، ج5/ص61

³ القرطبي، (1955)، ج8/ص494

⁴ الزمخشري، (1987)، ج1/ص526

⁵ ابن عاشور، (1984)، ج5/ص73

"يُفْتِيكُمْ" أي يُظهِرُ لكم الحكم الواضح في شأن النساء واليتامى. قال الزمخشري في الكشاف: «الله يفتيكم فيهن أي يبين لكم ما أشكل عليكم من أمرهن»¹. وهذا ينسجم تماماً مع المعنى الصرفي (الإظهار والإبانة).

ز. معنى التعريض

قد تفيد صيغة أفعَل معنى التعريض كما في قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ الفعل "أَعْرِضْ" على وزن أفعَل، وهو أحد أوزان الריادة بالهمزة، "فَأَعْرِضْ" جاء بمعنى التجاوز عنهم أو التفرغ عنهم، أي لا تصرّ على هدايتهم بالقوة، بل أعرض عنهم في التصرف المباشر. هذا يتوافق مع معنى التعريض في وزن أفعَل أي جعلهم معرضين عن فعلك المباشر، أي ابتعد عن التعامل المباشر معهم لعلك بما في قلوبهم من نفاق. الطبري يفسر "فأعرض عنهم" بأنه لا تلتفت إليهم في خطابك ولا تصر على دعوتهم عند معاندتهم.² الزمخشري يرى أن المعنى هو صرف النبي صلى الله عليه وسلم عنهم وعدم الجدال معهم.³ ابن عاشور يوضح أن "أعرض" يدل على ترك التفاعل المباشر مع قلوبهم الميالة للنفاق، مع الاستمرار في الوعظ بوسائل عقلية مناسبة.⁴ المعنى الأنسب لفعل "فَأَعْرِضْ" في السياق القرآني هو تجاوز عنهم، لا تلتفت إليهم في الخطاب المباشر، مع توجيه النصيحة بشكل بلاغي مناسب. هذا يحقق الجمع بين المعنى الصرفي للتعريض والمعنى القرآني للسلوك النبوي في التعامل مع المنافقين.

ح. معنى التسبب

قد تفيد صيغة أفعَل معنى التسبب كما في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ الفعل أرسل هنا يعني إرسال الرسل إلى الناس بالوحي والرسالة الشرعية. المعنى الأقرب من دلالات وزن أفعَل في هذا السياق هو التعدية والتسبب، أي الله جعل الرسالة وسيلة لإيجاد الطاعة والإرشاد. الفعل يدل على الاختصاص الإلهي في تكليف الرسل، وإرسالهم بالحق ليطاعوا بإذن الله، وهو سياق دال على الإرادة الإلهية والتكليف. الطبري يفسر "أرسلنا من رسول" بأن الله أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليطاعوا بإذنه، أي أن الطاعة مشروطة بإرادة الله.⁵ الزمخشري يرى أن المعنى هو تكليف الله للرسل بما يوصلونه من أمره للناس، وأن إرسالهم هدفه الطاعة والإرشاد.⁶ ابن عاشور يشير إلى أن "أرسلنا" يعني بعث الرسل لتبليغ الرسالة وإيجاد

¹ الزمخشري، (1987)، ج/2 ص427

² الطبري، (1955)، ج/11 ص515

³ الزمخشري، (1987)، ج/2 ص350

⁴ ابن عاشور، (1984)، ج/10 ص420

⁵ الطبري، (1955)، ج/6 ص245

⁶ الزمخشري، (1987)، ج/1 ص540

الطاعة، وأن إرسال الرسل هو في حد ذاته تحقق الإرادة الإلهية.¹ بناء على هذا فإن المعنى الأنسب حسب السياق إرسال الرسل بالحق لتكون طاعتهم واجبة بإذن الله، أي التسبب في الطاعة والإرشاد.

ط. معنى الاستحقاق:

ومن معاني "أفعل" أيضاً الدلالة على استحقاق صفة معينة، كقولهم "أحصد الزرع" أي استحق أن يحصد. وفي قوله تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ إِنَّ فِعْلَ أَحْسَنَ بهذا المعنى يمكن أن يفهم أنه بمعنى صار مستحقاً لاسم الإسلام بفعله، أي صار أهلاً لأن يوصف بالمؤمن المسلم. قال الرازي: «إنما كان أحسن الأديان دين من أسلم وجهه لله؛ لأن هذا الاستسلام يقتضي أن يكون جميع أفعاله وأقواله لله تعالى، وهذا غاية الكمال»². إذن هنا معنى "أَسْلَمَ" يتضمّن صيرورته مستحقاً للانتماء إلى جماعة المسلمين بالانقياد. كما في قوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ الفعل "أَعَدَّ" هو من باب الإفعال (أَفْعَلَ - يُفْعِلُ - إِفْعَالًا). أصله من الجذر (ع د د) الذي يفيد معنى العدد والإحصاء والتهيئة، ف"أَعَدَّ له عذاباً" يمكن فهمها جعل له العذاب مستحقاً متهيئاً جزاءً لفعله. الشنقيطي.³ "معنى أَعَدَّ أن ذلك العذاب قد صار حقاً له مستحقاً مجرمه". وهذا يلائم السياق، إذ يربط الفعل بالجزاء العادل على الجريمة.

ي. معنى السلب

من معاني وزن «إفعال» أيضاً — كما ذكر ياقوت⁴ — السلب، أي إزالة الفعل من المفعول. وفي قوله تعالى: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ف«أذهب» بمعنى «أزال الذهاب» أو «أزال الشيء»، كقولهم أذهب الله عني الحزن أي أزاله. وهنا في الآية، المعنى أدق إزالة الوجود الإنساني نفسه، أي «سلب الله الناس وجودهم في الأرض». قال الزمخشري في الكشاف⁵: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ، أي يُفْنِيكُمْ بالإعدام، ويأتي بخلقٍ آخر، فليس بقاءكم إلا بمشيئته». وفي هذا التفسير يصحّح الزمخشري بأن «الإذهاب» بمعنى الإفناء والإزالة، وهو من أبلغ معاني السلب في العربية. من معاني (أفعل) أن تدل على إزالة الشيء عن المفعول، مثل «أعجمت الكتاب» أي أزلت عُجمته. وفي «أخلصوا»، في قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

¹ ابن عاشور، (1984)، ج/3 ص355

² فخر رازي، (1999)، ج/11 ص39

³ الشنقيطي، (1995)، ج/2 ص224

⁴ (2005)، ص284

⁵ (1987)، ج/1 ص538

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ يمكن القول إنهم أزالوا من دينهم شوائب الشرك والرياء. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا المعنى الدقيق بقوله: «المراد تنقية الدين من شوائب المقاصد الدنيوية، أي أزالوا عنه كل ما يشوبه من نفاقٍ ورياءٍ»¹. إذن الفعل يحمل معنى السلب أي أزالوا الشرك والرياء من عبادتهم.

وفي قوله تعالى: إِنَّ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ يمكن القول إن «أخفى» يحمل معنى إزالة الظهور عن الشيء؛ أي أن الفاعل أزال صفة الظهور عنه فصار خفيًا. وهذا معنى دقيق يبرز فاعلية الفعل في نقل الشيء من حالة الظهور إلى الخفاء. وهذا ما يفهم من قول ابن عاشور: «الإخفاء في مقابلة الإبداء، أي إزالة الشيء عن دائرة المشاهدة والإدراك الحسي»². بينما لا يناسب هذا المعنى (السلب) الفعل «أبدى»، لأن الإبداء هو إضافة الظهور لا إزالته.

النتيجة

من خلال تتبع صيغ أفعل في سورة النساء وقراءة معانيها الصرفية والسياقية في ضوء أقوال كبار المفسرين (الطبري، الزمخشري، ابن عاشور، القرطبي، الرازي وغيرهم)، يمكن القول إن صيغة أفعل لم ترد في السورة اعتباطاً، بل جاءت محملة بوظائف دلالية متنوعة تعبر عن عمق التعبير القرآني ودقته في اختيار الأبنية اللغوية. وتدل هذه الصيغة في السورة على أربعة معانٍ رئيسة: التعدية، والتمكين، والصورورة، والدخول في الشيء، تتداخل فيما بينها أحياناً وتنفرد أحياناً أخرى بحسب المقام والمعنى المقصود.

تنوع دلالات صيغة (أفعل) في سورة النساء يعكس ثراء البنية الصرفية في خدمة الدلالة القرآنية، فهي لا تحمل وظيفة واحدة، بل تتلون بحسب السياق. الهزمة الزائدة ليست زيادة شكلية بل دلالية، إذ تنقل الفعل من طور إلى آخر (من اللازم إلى المتعدي، من الذات إلى الغير، من الإمكان إلى التحقيق). الصيغة في السياقات الإلهية (كأوحينا، أعتدنا، يوصيكم) تحمل بعداً تمكينياً يؤكد أن الفعل من الله ذو قدرة وتقدير وإعداد. في السياقات الإنسانية (كأقسطوا، أحصن، أطعنكم، تحسّنوا) تؤدي الصيغة وظيفة الصورورة الأخلاقية والسلوكية، فتمثل تحوّل الإنسان نحو الكمال أو الامتثال. وجود الصيغة في مواضع التشريع والأحكام الاجتماعية (كالنكاح، الموارث، العدل، الطاعة) يؤكد التكامل بين الصرف والمعنى التشريعي، إذ تخدم الزيادة في المبنى تأكيد القوة في المعنى. يمكن القول إن سورة النساء من أغنى سور القرآن في تنوع دلالات (أفعل)، لكونها تعالج قضايا المجتمع والعدل والحقوق، وهي مجالات تستدعي أفعالاً تدل على التمكين والإحداث والتحوّل.

¹ ابن عاشور، (1984)، ج/5، ص244

² -المصدر نفسه، (1984)، ج/5، ص259

أما الدلالة على التعدية فظهر هذا المعنى بوصفه الأكثر شيوعاً في صيغ (أفعل) في سورة النساء، ويعبر عن نقل الفعل من كونه لازماً إلى كونه متعدّياً، أي جعل الحدث واقعاً على مفعول به. تظهر هذه الأفعال أن صيغة أفعل تتجاوز معنى نقل الفعل إلى تمكينه وتثبيتته، أي جعل الحدث واقعاً بإرادة إلهية أو بتيسير خاص، وهو بعد دلالي دقيق لا يدرك إلا من خلال التحليل الصرفي والسياقي.

تأتي صيغة (أفعل) أحياناً للدلالة على التحوّل من حال إلى حال، أي الصيرورة التدريجية أو الوجود الجديد للصفة في الفاعل أو المفعول. تأتي صيغة (أفعل) أحياناً للدلالة على التحوّل من حال إلى حال، أي الصيرورة التدريجية أو الوجود الجديد للصفة في الفاعل أو المفعول. الصيرورة في باب (أفعل) تعبر عن التحوّل الداخلي في الذات أو الفعل، وغالباً ما تقتزن بالسياقات الأخلاقية والإيمانية، كما في الإيمان، الطاعة، الإحسان، الإبداء والإخفاء. وتظهر الدلالة على الدخول في الشيء في الأفعال التي تعبر عن الانغماس أو الاتصال أو الوصول، حيث تدل الهمزة على الدخول في الحالة أو الفعل. هذه الصيغة تمثل معنى الولوج والدخول في حالة جديدة أو فعل تامّ، وتظهر دقة الهمزة في تصوير علاقة الاتصال الكامل بين الطرفين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، ج1.

ابن عاشور، الشيخ محمد، 1984، تفسير التحرير والتنوير، ج4، 5، 6، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، (1979) مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر.

ابن كثير، اسماعيل بن عمر، (1998)، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، (1997)، لسان العرب، ج3، و11، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

يعيش بن علي بن يعيش، أبوالبقاء، (2001)، شرح المفصل، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأندلسي، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياي، (1990)، شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي مختون، هجر للطباعة.

حسان، تمام، (1991)، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب: دار الثقافة، الدار البيضاء.

الخويسكي، زين كامل، (2006)، الصرف العربي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- سلامه، محمد حسين، (2002)، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، القاهرة: دار الآفاق العربية.
- سيبويه، عمرو، (1988)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الشنقيطي، محمد محفوظ بن الشيخ المسومي الموريتاني، (لا.تا)، وشاح الحرة، تح ونشر: محمد محمود، الشرق الأوسط.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (1995)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، (1992)، المفردات في غريب القرآن، مصحح: صفوان داوودي، بيروت: دار الشامية.
- رجب عبد الجواد إبراهيم (2002) أسس علم تصريف الأفعال والأسماء، مصر: دار الآفاق العربية.
- رضي الدين، الاسترأبادي، (1982) شرح شافية ابن الحاجب، تح/ محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الكتب العلمية.
- روان، محمد (2023) معاني الزيادة في أبنية الأفعال بين القدامى والمحدثين - سورة الأنفال أنموذجاً- دراسة صرفية دلالية، رسالة ماجستير في اللغة و الأدب العربي، جامعة ورقلة الجزائر.
- الزمخشري، جارالله، (1987)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، بيروت: دار المعرفة.
- عبد اللطيف، محمد منال، (2000)، مدخل إلى علم الصرف، عمان: دار المسيرة.
- الطبري، (1955)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، القاهرة: دار المعارف.
- عبد الغني، أيمن أمين (1999)، الصرف الكوفي، مر: عبده ال ارجحي وآخرون، قلم ابن خلدون، الإسكندرية.
- الفقهي، سعيد كريم، (لا.تا)، سؤال وجواب في قواعد الصرف العربي، الإسكندرية، الدار العالمية للنشر والتوزيع.
- فخر رازي، محمد بن عمر، (1999)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- لحام، حنان، (1989)، من هدي سورة النساء، الطبعة الثانية، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع.
- القرطبي، (1993)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.
- مجمع اللغة العربية، (2004)، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4.
- الكوفي، نجاته عبد العظيم، (1989)، أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، دار الثقافة للنشر و التوزيع.
- نهر، هادي، (2010)، الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- ياقوت، محمود سليمان، (2005)، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- ياقوت، محمود سليمان، (1999)، الصرف التعليمي والتطبيقات في القرآن الكريم، حولى: مكتبة المنار الإسلامية.
- يعقوب، إميل بدیع، (1983)، موسوعة النحو والصرف والإعراب، بيروت: دارالفكر